

# الفروق السيكولوجية بين الأمم

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

## الفروق الزطائية

في سنة ١٩٢٨ دعت وزارة المعارف المصرية الدكتور كلاباريد أستاذ علم النفس بجامعة جنيف لدراسة حال التعليم في مصر ومعرفة مواضع النقص فيه ، واقتراح الإصلاحات الضرورية للمناهج وطرق التدريس ونظام المدارس على أسس من التربية وعلم النفس . وكان مما قام به الأستاذ هو إجراء بحوث اختبارية في الذكاء على طوائف من التلاميذ في جميع مراحل التعليم لمعرفة مستوى ذكاء التلميذ المصري واتجاه نموه العقلي . وقد أجرى الأستاذ قملًا عدة تجارب - بمساعدة عدد من الأساتذة المصريين - لقياس الذكاء ، واستخدم أنواعًا مختلفة من المقاييس من بينها مقياس (١) الدكتور بالارد . وكان هذا القياس قد جرب في إنجلترا وفي بلجيكا وفرنسا . ولكن الأستاذ أدخل عليه بعض التعديلات ليناسب الناشئة المصرية . وقد أظهرت النتائج التي أسفرت عنها اختبارات الذكاء أن مستوى الذكاء عند التلاميذ المصريين - ما عدا البنات اللواتي تتراوح أعمارهن بين الثامنة والعاشر - أقل بكثير من مستوى الذكاء عند التلاميذ البلجيك والإنجليز

وقد استرعت هذه النتيجة انتباه الدكتور واهتمامه ، فحمله بمحاول معرفة هذا التأخر الذكائي ، فذهب يفرض له فروضاً ، وشرع في درستها ، وكان من بين الفروض التي افترضها ورفضها أن سبب هذا النقص هو انحطاط في فطرة الطفل المصري . وهو يقول في تقريره : « هذا وليس في الأسباب ما يحدونا إلى الاستناد إلى الفسادة الفطرية كخصيصة في الطفل المصري ، لأننا إذا راعينا النتائج الفردية ، ولم تقتصر على المتوسطات وحدها ، فإننا واجدون في جميع أدوار أعمار الأطفال طائفة من نتائج اختبارهم أحسن ما تكون . وفي هذا ما لا يبرر الاستناد إلى الانحطاط الفطري » ثم هو يذهب فيبحث فروضاً أخرى ويرى « أن تأثير الوسط المحيط هو ما يصح الاستناد إليه في كثير من الوثوق والتأكد

لتحليل ذلك الانحطاط . فقد دل عدد كبير من البحوث التي أجريت على أن مستوى عقل الطفل يترب إلى حد ما على الوسط الاجتماعي الذي يمت إليه بصلة ما ، وعلى وسطه المعاشي الخاص أيضاً . وبدهى أن الأطفال الذين في أسرة متفتحة يملو مستواهم على مستوى غيرهم » . نعم يعود الدكتور فيؤكد أن الوسط تقع عليه إلى حد كبير مسئولية رداءة النتائج العامة التي وصل إليها في اختبار ذكاء الطفل المصري ، ومقارنتها بذكاء الطفل الأوربي ، ويشير إلى سبب آخر من أسباب الانحطاط الذكائي خاص بالتجارب التي أجراها ، ويقول : « إن نصف النتائج التي حصلنا عليها عن أطفال وشبان من تلاميذ المدارس الأولية والثانية أو مدارس المعلمين الأولية ، أي من وسط اجتماعي متوسط . وقد قلنا إن نتائجهم أحط بكثير من نتائج المدارس الابتدائية والثانوية باعتبار التساوي في السن بينهم جميعاً ، وأنها كانت لهذا السبب باعثاً على هبوط المتوسط العام . ولا شك في أن ما أيدته اختباراتنا من نقص النمو العقلي يعزى في بعضه إلى هذه الحال . والواقع أن الأطفال والشبان المصريين من الطبقات الدنيا تنقصهم الأسباب المنشطة للعقل . . . والبيئة التي تستنير دفين الذكاء ، كما تنقصهم لتفتيح أذهانهم تلك الفرص التي كثيراً ما تمنح للأطفال الصغار الأوربيين في حياتهم »

ساهم الأستاذ القبانى بنصيب وافر في إجراء الاختبارات التي قام بها الدكتور كلاباريد ومراجعة نتائجها ، ولكنه لم يقتنع بصحة هذه النتائج ، لأنه كان شاكاً في صلاحية مقياس بالارد لاختبار ذكاء التلاميذ المصريين . . . للاختلاف الكبير بين البيئة المادية والاجتماعية المصرية وغيرها من البيئات الأوربية ، وهذا ما يجعل الأسئلة التي يختبر بها ذكاء التلاميذ الإنجليز أو البلجيك لا تناسب بالضرورة التلاميذ المصريين . من أجل هذا أنجحت عناية الأستاذ لدراسة الذكاء المصري ، فأجرى عدة بحوث كانت أغراضها : التحقق من صلاحية كل سؤال من أسئلة بالارد لاختبار الذكاء في مصر ، وحذف الأسئلة التي يثبت عدم صلاحيتها وإضافة أسئلة غيرها لتكوين مقياس مصري للذكاء ، وإجراء هذا المقياس الأخير على تلاميذ المدارس الابتدائية ومن في مستواهم للوقوف على حقيقة عقليتهم (١) . وقد نجح الأستاذ في تحقيق هذه

(١) هذا اقتباس من كتاب « مقياس الذكاء » في المدارس الابتدائية بالقاهرة للأستاذ اسماعيل القبانى

درست للتأنيح دراسات إحصائية مطولة ، وكان ترتيب الأمم ترتيباً تنازلياً بحسب الذكاء هو<sup>(١)</sup> :

(١) إنجلترا (٢) اسكتلندا (٣) هولندا (٤) كندا  
(٥) ألمانيا (٦) الدانمارك (٧) السويد (٨) النرويج  
(٩) إيرلندا (١٠) النمسا (١١) تركيا (١٢) روسيا  
(١٣) البلجيك (١٤) اليونان (١٥) إيطاليا (١٦) بولندا  
والتامل في هذا الترتيب يرى أن سكان الأقطار الأوربية  
الشمالية (الجنس الشمالي) أذكى من سكان الأقطار الأوربية  
الوسطى (الجنس الألبى) وهؤلاء أذكى من سكان أقطار البحر  
الابيض المتوسط . وقد وجهت انتقادات كثيرة لهذه النتيجة  
للسابقة ، أهمها هو أن هذا الترتيب لا يصح أن يؤخذ على أنه  
ترتيب للذكاء الفطري عند هذه الأمم . وهذا انتقاد وجيه ، ولكن  
أقل ما يدل عليه هذا الترتيب هو مقدار تأثير التربية المدرسية  
والثقافة الاجتماعية في إظهار ذكاء الأمم

وتمت اختبارات أخرى أجريت على صبيان ولدوا في الولايات  
المتحدة وآبؤهم من جنسيات مختلفة ، وكانت أعمارهم تتراوح بين  
الخامسة والنصف وبين الثامنة عشرة . وكان هؤلاء الصبيان  
يحملون في المدارس العامة Public Schools<sup>(٢)</sup> . وقد بلغ عدد  
من اختبر ذكائهم ٥٥٠٤ تلميذ ، وكانت تربيتهم للمدرسية متشابهة  
بصفة عامة ، كما كانوا يعيشون في بيئات متجاورة ومتقاربة للثقافة .  
وكانوا جميعاً يعرفون اللغة الإنجليزية بجانب لغتهم الأصلية . وقد  
رتبت نتيجة ذكائهم ترتيباً تنازلياً ، فكان الترتيب كما يأتي :

اليهود البولنديون ، السويديون ، الإنجليز ، اليهود الروس ،  
الألمان ، اللواتيون ، الإيرلنديون ، السكنديون للبريطانيون ،  
الروس الخالص ، البولنديون الخالص ، الإغريق ، الإيطاليون ،  
السكنديون الفرنسيون ، للبرتغاليون . وسأترك للقارى المقارنة  
بين هذه النتيجة ونتيجة الاختبارات السابقة لها

هذا وخلاصة القول هي أن علماء النفس متفقون على أن  
الاختبارات التي أجريت حتى الآن تدل على وجود فروق ذكائية  
بين الأمم المختلفة . ولكنهم يختلفون في سبب هذه الفروق ؟  
أهي فطرية جنسية ، أم بيئية ثقافية ، أم هامة ؟ والجمهور على  
الرأى الأخير .  
هيب البرنز هيب الحميد

(١) هذا الترتيب مقتبس من كتاب A Study of American Intel-  
ligence, by C. Brigham

(٢) الاصطلاح Public schools في إنجلترا يعني مدارس أولاد  
الأعيان ، وفي أمريكا يعني مدارس أولاد العامة

الأغراض ، وكأنه بعمده هذا أراد أن يختار من التلاميذ المصريين  
من تشابه بيئته - المدرسية والاجتماعية إلى حد ما - بيئة  
للتلاميذ الأوربيين ، حتى تكون المقارنة بين متوسط الذكاء  
المصري والذكاء الأوربي مقارنة عادلة . وقد كشفت اختبارات  
الأستاذ عن متوسط ذكاء تلاميذ المدارس الابتدائية أرق من  
ذلك الذى وصل إليه كلاهايد ، كما أبدت اختباره نظرية تأثير  
الوسط في الذكاء ، فقد وجد أن المدارس التي ينطب على تلاميذها  
أن يكونوا من أوساط اجتماعية راقية تتفوق في الذكاء في كل  
عمر على المدارس التي ينطب على تلاميذها أن يكونوا من أوساط  
اجتماعية متواضعة ، وأن الفرق بين ذكاء هذين النوعين من  
المدارس ليس كبيراً إذا قيس بالفرق بين متوسط ذكاء كل منهما  
ومتوسط ذكاء المدارس الأولية

رأينا إذاً كيف تتمس المقارنة بين متوسط ذكاء أمة  
ومتوسط ذكاء أمة أخرى لاختلاف البيئات ، هذا الاختلاف  
الذى له أثره في تنشيط الذكاء الفطري وشحنه ، ولصعوبة  
إيجاد « عينات » ممثلة كل التمثيل لأفراد الأمة وأوساطها المختلفة  
تجرى عليها اختبارات الذكاء . وعلماء النفس يدركون هذا  
التنمس ويقرّونه ، ولكنهم بالرغم من ذلك حاولوا التنب على  
ودراسة للفروق الذكائية بين الأمم ، فالتجارب التي أجريت في  
الولايات المتحدة لقياس ذكاء الزوج ومقارنته بذكاء الأمريكيين  
البيض أسفرت عن أن الزوج أقل ذكاء من الأمريكيين  
في كل المقاييس التي تتطلب حل معضلات ممنوية مجردة abstract  
بينما يقربون من الأمريكيين أو يشابهونهم في الذكاء الذى يحتاج  
إليه في حل المعضلات العملية أو المحسوسة ، كما تدل على ذلك  
نتائج المقاييس العملية Performance Tests وما لا جدال فيه  
أن القدرة على التفكير المنطوق الجرد والحكم تتأثر إلى حد كبير  
بالتربية والثقافة العامة ، ونوع العمل الذى يقوم به الفرد .  
وسمما يكن السبب - وراثياً أو بيئياً - فالحقيقة الواضحة هي أن  
الزوج أحط ذكاء كجماعة من الأمريكان البيض

في أثناء الحرب للكبرى الماضية قيس ذكاء أفراد الجيش  
الأمريكى ، وكان من بينهم جامعات ذوو جنسيات أوربية مختلفة:  
إنجليز ، وهولنديون ، ودنماركيون ، وإيطاليون الخ . وقد استغل  
علماء النفس نتائج اختبارات الذكاء في معرفة ما إذا كانت هناك  
فروق ذكائية بين الأمم الأوربية ممثلة في جامعات الجيش الأمريكى .